عنصر الوقت

إنني أعرف المشهد التالي من خلال حياتي اليومية في العمل: عميل منشغل منذ أشهر عديدة بكيفية عرض مؤسسته في المعرض التجاري القادم والذي يقام كل سنة في نفس الميعاد، وبالتالي فميعاده معروف مسبقاً منذ سنة تقريباً. يبدأ القسم المختص بتطوير أفكار جديدة وتقوم مجموعة من فرق العمل بتصميم أسلوب مختلف تماماً بطريقة عرض نشاط الشركة بالمعرض ويحاولون ابتكار أفكار لجذب المجموعة المستهدفة ولعمل الدعوات ولكل ما يقومون به في الموقع، والتكاليف والإطار الزمني للإنتاج. إلا أن المشتركين لا يستطيعون أن يجتمعوا على فكرة من الأفكار الأخاذة التي تعرض عليهم وبالتالي يتم تكليف الجميع بواجب منزلي يتمثل في مواصلة التفكير قليلاً.

في العديد من الشركات تظل عملية إبداعية مثل هذه مختبئة حتى حين وتتراجع منهكة، ثم تصير فجأة في صدارة الحدث مع جملة يقولها أحدهم "هل يمكن أن نتصلوا مرة أخرى بالمتخصصين في إقامة المعارض، والذي يعرف ما إذا كنا سوف نأخذ نفس جناح السنة الماضية؟". وهنا تأتي اللحظة الحاسمة لوكالة الدعاية والإعلان أو وكالة تنظيم وإقامة المناسبات والتي غالباً ما تتلقى مكالمة هاتفية بعدها بعشر ثوانٍ يتم تكليفها من خلالها بالتالي: "إننا في حاجة إلى بعض الأفكار الرائعة للمعرض، شيئاً فريداً تماماً من نوعه، شيئاً مبتكراً، لم يوجد من قبل، يجذب إلينا الصحافة والإعلام. كما نرجوا السرعة، فقد داهمنا الوقت، فالشخص المسئول عن إقامة المعرض لابد وأن يبدأ في العمل بعد غد. إننا نعتقد أنكم تستطيعون إنجاز هذا، أليس كذلك؟ بالطبع تستطيعون، فالأمر لا يتعدى كونه ابتكار فكرتين. وليس عليكم إذن سوى أن تشطحوا شطحتين."

إن تحديد المهام ليس مشكلة من حيث المبدأ، وحده عامل الوقت يبدو صعباً. من أين يأتي هذا الأمل في معجزة مفاجئة لا سيما إذا كان المرء قد عايش بالفعل من قبل صعوبة الإبداع وإيجاد الأفكار ومعلوم أن هذه العملية عملية مرهقة وأننا لا نصل للنتائج المرجوة بمجرد الضغط على زر.

دائماً ما كانت أمي، التي تجيد الحياكة بشكل بارع، تثور في السابق عندما يأتي إليها أحدهم ببنطال تالف أو أطول من اللازم ويطلب منها بلهجة غليظة: "هل تستطيعين أن تخيطيه لي سريعاً؟" أو "هل تستطيعين تقصيره سريعاً؟! فلن تفعلي سوى أن تقصي جزءاً من القماش ثم تلفقينه. فقط لا غير". هذا لايمثل مشكلة لشخص لم يقم من قبل بإصلاح بنطلون أو تقصيره. لكن من يستطيع الحياكة يعرف أن هذا العمل والذي يبدو أنه تافه لاينجز بمثل هذه السهولة، ولكن يجب أن يتم إنجازه بعناية

ولذلك يستغرق وقتاً. ولا أزال إلى اليوم أسمع في أذني صدى الرد النمطي التي تتمتم به مي: "سريعاً، سريعاً لقد انتهى وعلق في الشماعة من تلقاء نفسه".

إن الإبداع عملية قيام بفعل وعمل قاسٍ. وفي أثناء ذلك تنشأ أفكار جيدة أو متوسطة أو ردئية للغاية بالإضافة إلى الاضطراب والفوضى التي تحدث بجانب ذلك. إن هذا أمر طبيعي تماماً. وليس عليك سوى أن تكون على وعي بهذه الأشياء كي تحتمل هذا الوضع. وليس هناك مشكلة إذا توافر لديك الوقت الكافي لوضع كل هذه الأشياء في الحسبان والتخطيط لها. إن عملية إنتاج الفكرة تشبه عملية إنتاج سلعة ما. فلنأخذ على سبيل المثال عملية إنتاج الكرسي. يقوم النجار في الخطوة الأولى بالبحث إلى أن يجد النموذج المناسب، ثم يحدد المقاييس، ثم يقوم بعمل رسومات تخطيطية وأخرى تفصيلية. ثم يقوم بشراء الخشب والذي في الوضع المثالي ينبغي أن يكون قد تم تخزينه وتجفيفه لمدة تصل من سنتين إلى 5 سنوات كي يصل إلى الحالة المثلى، وذلك كي لا يلتوي في الجهة الأخرى بعد التنفيذ. يقوم النجار بتجميع قطع الأخشاب المفصلة ثم لصقها بالغراء قطعة قطعة. وبعدئذ يجب أن يجف الغراء وينتظر النجار إلى أن يستطيع إنجاز الخطوة التالية من العمل. وأخيراً تتم صنفرة ودهان الكرسي الذي تم صنعه. وحتى الألوان تحتاج وقتاً حتى تجف. بل ربما يستلزم الأمر إضافة طبقة ثانية وثالثة من الدهان، مما يتطلب مراحل تثبيت لكل طبقة.

إن أفكارك أيضاً ينبغي أن توضع على الحبل من وقت لآخر كي تجف إلى أن يجف الطلاء أو أن يتماسك الطلاء إلى الدرجة المطلوبة. ضع فكرتك على حامل التعليق كي تتمكن من التجول حولها و أن تتفحصها من جميع النواحي. ربما يلفت انتباهك أن المنظر الخلفي ليس على النحو المطلوب ويحتاج هنا إلى قطعة ما أو أن به شيئاً ما مائل ولم يتم تثبيته جيداً بمسمار القلاووظ. إذن يجب عليك أن تبدأ مرة أخرى وتجرب تنويعات جديدة. قم بدهان الفكرة الخام، ربما باستخدام شمع العسل الرقيق أو لون أكريلك فاقع كبديل، كي تختبرالتأثير المختلف. ولتأخذ الوقت الذي تحتاجه هذه العملية ولا تدع أي شيء خارجي يضعك تحت ضغط. إن موقف التوقع وانتظار ما سيحدث هو مشكلة الآخرين. وليكن واضحاً لك أن الأفكار تأخذ وقتاً حتى تنضج وأنها أثناء هذه

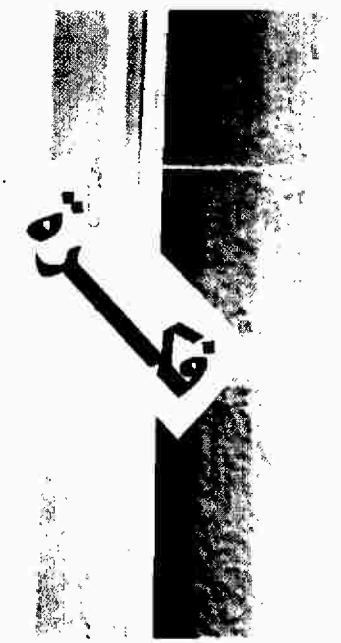

الفترة تكون في حالة تغير وتبدل دائمين. ولا تكن عصبياً في هذه الأثناء واستمتع بالفوضى الظاهرية التي تنشأ منها الأشياء.

من يتأخر ولا يسعفه الوقت، تدير له الحياة ظهرها، ومن يأتي قبل موعده فقد يصل إلى المكان الخاطئ في الوقت الخاطئ. كلنا يعلم هذا. وهذه الحكم تسري بصفة خاصة على عمليات التغيير التي يندر أن يقبل الناس على القيام بها في مرحلة البدء لعمل ما. لا يوجد في هذا الوقت فرد يريد التغيير ولديه القدرة على إحداثه مثل الفرد الشطاح المبدع. وكما هو الحال في مجال الفيزياء فإن المبالغة في العناد والضغط المفرط لا يؤديان إلا إلى ضغط مقابل، سواء كان ذلك من حيث المبدأ أو نتيجة للشعور بالعجز وعدم الحيلة أو نظراً لأن الفرد ببساطة يشعر بالهجوم على شخصه فحسب. فسواء الجماعات أو الأفراد فإنهم جميعاً لديهم خطوط حمراء حساسة خاصة بهم وينبغي على الشطاح متجاوز الخطوط والحدود أن يعي هذا الأمر ويضعه في حسبانه عند شطحه. ولذلك يجدر بالشطاح المبدع أن يكون أيضاً ملماً بمبادئ الحرب النفسية وأسلوب قيادتها وبتقنيات التواصل مع الآخرين.

"الشطح في الصباح يجلب الهم والغم، والشطح في المساء ينعش النفس ويثلج الصدر". ترجع هذه المقولة الشعبية القديمة المرتبطة بالمزارعين وحياتهم إلى خلفية غاية في الحكمة تتعلق بالتوقيت السليم. فالشطح في الصباح كان يجلب على الفلاحين الهم والغم لأنه كان عليهم في صباح كل يوم أن يحلبوا أبقارهم مكتنزة الضروع. كذلك كان يتعين عليهم في الصباح الإسراع بنقل اللبن الطازج أو بمعالجته حتى لا يداهمهم الوقت ويتخثر. كما يتعين عليهم جميعاً في الصباح كذلك أن يعملوا بجد وينفذوا أعمالهم الضرورية. ومن هذ المنطلق تنعدم فرصة وجود أي وقت للشطح في الصباح. أما في المساء، بعد انتهاء يوم العمل، وعندما يجلس الجميع في غرفة الجلوس، فإن الشطح الإبداعي يتجلى بينهم ويتخذ صوراً عديدة كتنفيذ أعمال يدوية، كما يتجلى في صورة شطح جماعي مشترك للخواطر والأفكار.

أعزائي الشطاحين، فلتكونوا أكثر انتباهاً عندما يتعلق الأمر بالتوقيت السليم. فقد يكون من الضروري عدم الإبطاء في حلب الأبقار، وعندئذ يكون التوقيت المختار لكسب اهتمام الناس حول فكرة جديدة هو أسوأ توقيت على الإطلاق. ولذلك يجدر بكم الانتظار إلى أن يحل المساء وتطرحون أفكاركم على صوت طقطقة النار في المدخنة، في هذا التوقيت ستتعمون بانتباه بالغ من مستمعيكم.

"ستصير كل الأمور على ما يرام." قول مأثور

"مدة المباراة 90 دقيقة ، فلا تعجل." زيب هيربرجر[11]

هوامش المترجمين:

1 Albert Einstein عالم الفيزياء الشهير وواضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة.

2 Thomas Alva Edison عالم أمريكي الجنسية ولد عام1847 بولاية أوهايو. أشهر اختراعاته المصباح الكهربي بالإضافة إلى إسهام اختراعاته في العديد من المجالات الأخرى مثل الاتصالات والسينما وغيرها.

3 Johannes Kepler عالم فلكي ألماني الجنسية، هو أول من وضع قوانين تصف حركة الكواكب بعد اعتماد فكرة الدوران حول الشمس كمركز لمجموعة الكواكب من قبل كوبرنيك و جاليلو.

4 Isaac Newton عالم فزيائي ورياضي وفيلسوف إنجليزي، أوضح قوانين الجاذبية.

5 Roald Amundsen مستكشف نرويجي أول من وصل إلى القطب الجنوبي عام 1911.

6 "Jules Verne" كاتب فرنسي من القرن التاسع عشر كان له الفضل في تأسيس ما يعرف بالخيال العلمي.

7 Christian Morgenstern شاعر وكاتب ومترجم ألماني الجنسية من بين أعماله ديوان "أغاني المشنقة".

8 Gottfried August Bürger شاعر ألماني، من كتاب حركة "العاصفة والاندفاع" الأدبية.

9 Johann Wolfgang von Goethe كاتب وشاعر ألماني الجنسية، اهتم إلى جانب الأدب بالعلوم الفيزيائية، وتقلد بالإضافة إلى ذلك مناصب سياسية في فايمار. يعتبر وهو وشيللر من أبرز كتاب الكلاسيكية في ألمانيا.

10 Axel Springer ناشر صحفي ألماني، ومؤسس وصاحب شركة أكسل سبرينجر شركة ذات مسئولية محدودة.

11 Sepp Herberger المدرب الأسبق لفريق ألمانيا القومي لكرة القدم في الفترة من عام 1936 إلى عام 1942، ومن عام 1950 إلى عام 1964.